مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد9 / العـــــدد:1 (2024)، ص 341– 350

المرأة في فكر أبي الحسن الندوي

The Woman in the Thought of Abu Al-Hasan Al-Nadawi

د.جباري مسعود كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة الجلفة

djabarim1996@gmail.com

تاريخ الاستلام: 22 /2024/04 تاريخ القبول: 19 /2024/05 تاريخ النشر: 30 /2024/06

ملخص: شهدت الحضارة الإسلامية منذ البعثة النبوية المحمدية ازدهارا ورقيا و قد تفيأت الإنسانية بمختلف طوائفها وأجناسها و أديانها تحت ظلالها الوارفة الرحمة و العدالة و السمو ، فردا و مجتمعا ، رجلا و امرأة .. و في خضم الواقع العالمي المعيش بسيطرة الحضارة الغربية و فلسفتها المادية، حدث اختلال في الفكر الإسلامي في مختلف جوانب الحياة، فكان دور العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي كبير و هام في إزالة الغبش و إيضاح الفكرة الإسلامية و تأصيل الأحكام و رسم معالم النهوض ، و من هؤلاء الشيخ أبو الحسن الندوي، الذي ناقش قضايا حضارية و فكرية و اجتماعية، و منها قضية المرأة المسلمة في الحضارة الإسلامية ، فتحا و فهما و تدينا، و بين أن دورها كبير في الواقع الذي نعيش، و أن مكانتها سامية راقية في قيم الإسلام و أحكامه و تعاليمه .

الكلمات المفتاحية : المرأة – الحضارة الإسلامية – الفكر الغربي – المجتمع الإنساني

Abstract: Since the mission of the Prophet Muhammad, the Islamic civilization has witnessed prosperity and progress, and humanity, with its various sects, races, and religions, has rejoiced under its abundant shade of mercy, justice, and transcendence, individually and collectively, man and woman... and in the midst of the global reality living under the control of Western civilization and its materialistic philosophy. There was a disruption in Islamic thought in various aspects of life. The role of scholars and thinkers in the Islamic world was great and important in removing confusion, clarifying the Islamic idea, establishing rulings, and setting the milestones for advancement. Among these people was Sheikh Abu Al-Hasan Al-Nadawi, who discussed cultural and intellectual issues. And socially, including the issue of Muslim women in Islamic civilization, to gain understanding and religiosity, and to show that their role is great in the reality in which we live, and that their status is sublime and sublime in the values, rulings and teachings of Islam.

Keywords : Women - Islamic civilization - Western thought - Human society

.

* جباري مسعود

. مقدمة:

منذ بعثة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم – ، حدث منعف إنساني هام ، إذ و بعد أن عاش البشر في ضلال و غواية و انحراف بالابتعاد عن هداية السماء و تعاليم الأنبياء و الرسل، جاءت الرسالة المحمدية لتعيد للإنسانية كرامتها و عزتها و هناءها ، و فعلا فقد بنى النبي – صلى الله عليه و سلم – مجتمعا إسلاميا ساميا ، تميز بالأخوة و الترابط و التكافل و التسامح ، مع إعطاء كل الحقوق المادية منها والمعنوية لكل فئات المجتمع ، ذكورا و إناثا ، صغارا و كبارا ، عبيدا و أحرارا .. ، كل هذا في إطار من سمو الروح و نقاء العقيدة و متانة الإخاء . و هكذا سادت الحضارة الإسلامية قرونا طويلة بخصائصها الإنسانية الراقية إلى أن حدثت النهضة الأوروبية و أخذت الحضارة الغربية تسيطر على بني البشر، بفلسفتها و تصوراتها المادية البعيدة عن إنسانية الإنسان و سمو الأخلاق . و قد استطاعت هذه الحضارة المادية أن تحدث خللا في تفكير الإنسان المسلم – كذلك – سواء في الطروحات الفلسفية أو التصورات الفكرية أو الجوانب الاجتماعية . و في هذه الضبابية انبرى الفلاسفة و المفكرون و المصلحون و العلماء في العالم الإسلامي لإعادة النهوض للمجتمع الإسلامي ، و إبراز خصائص الإسلام السامية ، و محاسن الشريعة الإسلامية الراقية ، فكان منهم الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله – من بلاد الهند ، فأوضح ما خسره العالم بانحطاط المسلمين ، و أثر الحضارة الغربية في الجيل المثقف ، و موقف المسلم و العالم الإسلامي تجاهها ، و إزالة أسباب الخذلان ، و بيّن وسائل الدعوة و الدعاة ، و واقع المسلمين و كارثة العالم العربي ، و مسؤولية الأمة الإسلامية ، و الحديث عن شخصيات كمحمد إقبال ، و القادياني و القاديانية ، مع تحديد مسؤولية المثقفين... و بيّن – كذلك – كيف أعطى الإسلام المكانة اللائقة بالمرأة من حيث هي امرأة ، أمّا و بنتا و زوجة و أختا و ما إليها ، و أن المرأة المسلمة لها دور في الحفاظ على الفرد المسلم و على المجتمع الإسلامي ، و أن جهودها و تضحياتها و عواطفها الإيمانية السامية ترسخ القيم و المثل و الأخلاق الإسلامية الراقية ، و تحافظ على سيرورة الحضارة الإسلامية .

فكان موضوع هذه الدراسة هو : **المرأة في فكر أبي الحسن الندوي**

إن قضية المرأة هي قضية كل مجتمع في القديم و الحديث ، إذ أنها تشكل نصف المجتمع من حيث العدد (السباعي ، 2010م ، ص9) ، كما أنها تحمل أهم جوانب بناء الإنسان من حيث الأمومة و الرقة و الحنان و ما إليها من عواطف سامية نبيلة ، و على هذا فإنه من الأهمية بمكان أن يقيم المفكرون و علماء النفس وعلماء الاجتماع و الساسة بواجب البناء الحقيقي للمجتمع ، و الذي أساسه و منطلقه المرأة . ثم إن تاريخ المرأة ليس منفصلا عن الرجل أساسا ، فقد شاركت المرأة الرجل حياته منذ بداية المجتمع الإنساني ، ذلك أن طبيعة البناء الاجتماعي الإنساني وجد هكذا بهذا التكامل و الترابط . و لو استعرضنا صورة المرأة في الحضارات القديمة لوجدناها كالآتي: (شومان ، 2011م ، ص15... و السعيد ، 2005م ، ص 25...)

ففي الحضارة الآشورية : كانت المرأة تجبر بعد موت زوجها أن تتزوج بأخيه ، أو من أحد أبنائه من زوجة أخرى ، و لم يكن للآباء أي حق في تزويج بناتهم ، و ليس لها الحق في أن تتزوج من تشاء ، بل كان الأمر في ذلك للكاهن الذي تجتمع لديهم العذارى البالغات سنويا فيبعنهن في الأسواق بالمزاد العلني، فبابل تعتبر المرأة كالماشية ، يمتلكها الرجل و يتصرف بها كما يشاء ، و أقصى ما أعطته هذه الشريعة للمرأة من حق ، أن فرضت على من يقتل بنتا لرجل أن يسلمه القاتل ابنته ليقتلها ، أو ليتملكها إن عفا عنها ، و في قوانين حمورابي "إن قيد المرأة لا يترع ، و نيرها لا يخلع" .

و في الحضارة اليونانية لم يكن لها أي نصيب من علم أو ثقاف أو حق فهي "... وجه النحس و النكبة المتوارثة خلف المظهر الكاب" و حتى في مدينة أفلاطون الفاضلة تشبه المرأة بـــ "الشجرة المسمومة"، وهي " كائن شرير و مصدر النكبات

و الأزمات في العالم" ، كما شاع في أسبرطة إعارة الأزواج لزوجاتهم لصنف من الرجال الأقوياء الأذكياء لكي ينجبن أبناء أقوياء و نجباء .

و في الحضارة الرومانية اعتبرت المرأة حيوانا نجسا ، لا تدخل المعابد في الدنيا ، و تحرم من الجنة في الاخرة ، بل أن للجواري مكانة أكثر أهمية – عند الأزواج – من حرائر النساء .

و في الحضارة الفارسية كانت المرأة حقا للرجل و ملكا له ، يتصرف بها كيف يشاء ، كما له حق التصرف بمالها و دميع شؤونها ، بل له الحق بقتلها ، كما أن المرأة – عندهم – ليس لها الحق في التعلم و لا الخروج من البيت .

و في الحضارة الصينية ، كان مولد المرأة نكبة و شؤما على أهلها و على جميع من يراها ، و لا حق لها بالميراث ، لا من مال أبيها و لا من مال زوجها ، و هي بمثابة المتاع للبيع و الشراع .

إن كل ما نالته المرأة من مكانة مرضية ، فإنما كانت تناله من بواعث العاطفة على حالها من حميد و كريم ، كانت تنال المحبة من بنيها بعاطفة الأمومة التي يحسها الأبناء نحو أمهاتهم (العقاد ، 2005م ، ص47...)

- **المرأة في الديانات السابقة** : (نصيف ، 1995م ، ص 38...)

إن الديانات السابقة على البعثة المحمدية لم تخل – كذلك – من إلصاق أشنع الصفات بالمرأة ، حيث تجاوزت تصورات الحضارات القديمة .

فالديانة الهندوسية تعتبر المرأة إنسانا قاصرا لا أهلية له ، و تمنع منعا باتا من تعلم كتبها المقدسة لعدم أهليتها لذلك . فلما كان حكم المسلمين في الهند قضوا على شريعة "مانو" الهندية التي تنص على حرق المرأة بعد وفاة زوجها (الندوي ، 2002م ، ص15)

و حظرت الديانة البوذية على كل من يطمح إلى النجاة في الحياة أن يتصل بالمرأة ، و من تعاليمها "لا سبيل لمن اتصل بالمرأة أن ينجو في الحياة" .

و اعتبر العهد القديم المرأة مصدرا للإثم ، و حملت التوراة المرأة "حواء" غواية آدم بإخراجه من الجنة، فقد جاء في العهد القديم – مثلا – أن المرأة أمرّ من الموت، و هي تمثل الرجس والإثم والنجاسة، و اعتبروها نجسة أيام الحيض، و كانوا إذا حاضت المرأة منهم لا يؤاكلونها، و لا يجتمعون معها في البيوت، ويعتبرون كافة الأمتعة التي تجلس عليها نجسة " (العقاد ، 2005م ، ص 48-49) .

و حسب الإصحاح 27 من سفر العدد : أيما رجل مات، و ليس له ابن، تنقلون ملكه إلى ابنته. فهي لا تورث في حالة وجود أخ لها . و في الكنيسة المسيحية غالى رجالها في امتهان كرامة المرأة و إهدار قيمتها، يقول أحد القديسين "لويولا" عن المرأة : إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، و مشوهة لصورته . و يقول آخر "سوستام" : إنها شر لا بد منها، و آفة مرغوب فيها ، و خطر على الأسرة . و يقول فيلسوف الكنيسة "توما الإكويني" عن المرأة : إنها كائن عرضي، جاء إلى الوجود عن طريق العرض، لا قيمة لها و لا شأن، و هي جسد بلا روح .

و يذكر البروفيسور "آلان باركر" عن الكنيسة : لقد غالت المسيحية بالقسوة و الظلم على المرأة ، لدرجة أن الكنيسة الكاثوليكية قامت ، تحت غطاء رعاية الأخلاق و العفة و الدين ، في فرنسا وحدها ما بين (ق 14م) و (ق 17م) بحرق ما يزيد على مليون امرأة بحجة وصمهن بالساحرات .

و حسب الكاتبة الألمانية "هونكة"فإن الكنيسة ظلت على معاداتها للمرأة ، إلى أن توصل الغرب إلى قهر هذه العداوة عن طريق صلته بالعالم الإسلامي ، و الذي كان في ذلك الحين أعجوبة غير قابلة للتحقيق .

- **المرأة في التعاليم الإسلامية :**

و في الجزيرة العربية و قبل البعثة النبوية المحمدية ، لم تكن للمرأة مكانة تذكر – كما في باقي الحضارات الأخرى – بل كانت كمّا مهملا لا ينظر إليها لتدبير عمل منزلي أو لدوام النسل البشري ، بل كانت عند بعض الطوائف في مرتبة الخادم ، و نظر إليها البعض كأنها سلعة تباع و تشترى ، و ما كانت بعض الطوائف تورث المرأة إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين ، و كانوا قبل الإسلام يعتبرون المرأة متاعا يملكه الرجل ، و سلعة له الحق في التصرف فيها كما يريد ، كما كانت بعض قبائل العرب تعتبر ميلاد البنت جالبا للحزن و الخزي و العار ، و كان ولي المرأة في الجاهلية يأخذ مهرها و لا يعطيها منها شيئا (الغزالي و آخرون ، 1991م ، ص84) .

و ما إن بعث النبي محمد – صلى الله عليه و سلم – هاديا إلى كل سبل الخير ، و أشرقت التعاليم السمحة للإسلام ، حتى تغيرت الأوضاع الاجتماعية و الفكرية و الثقافية و الحضارية ، و أخذت قيم الإسلام تبين الحقائق و تعيد الإنسان– أي إنسان يتبنى تعاليمه – إلى فطرته السوية بعيدا عن كل انحراف و غواية . و هكذا فالإسلام في فلسفته – عن المرأة – ينطلق من فكرة مبدئية هي أن (المرأة و الرجل / الذكر و الأنثى) جنسان منفصلان ، و توجد بينهما فروق معينة و محددة من الناحية التكوينية ، و لأجل ذلك لا ينبغي أن يكون لهما إطار عمل واحد و مشترك في محيط الأسرة و المجتمع ، فتباينهما على مستوى التكوين البيولوجي يحتم التباين على مستوى العمل و النشاط – كذلك – (خان ، 1994م ، ص11-12) . بُيِّنت حقوق المرأة في القرآن على أعدل أساس يتقرر به إنصاف صاحب الحق ، و إنصاف سائر الناس معه ، و هو أساس المساواة بين الحقوق و الواجبات ، فالمساواة ليست بعدل إذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت واجباتهم و كفايتهم و أعمالهم ، و إنما هي الظلم للراجح و المرجوح ، فإن المرجوح يضيره و يضير الناس معه أن يأخذ فوق حقه و أن ينال فوق ما يقدر عليه ، و كل ما ينقص من حق الراجح يضيره لأنه يغل من قدرته ، و يضير الناس معه لأنه يحرمهم ثمرة تلك القدرة ، و يقعدم عن الاجتهاد في طلب المزيد م الواجبات ، مع ما يشعرون به من جنس الحقوق.. ليس من العدل أو من المصلحة أن يتساوى الرجل و النساء في جميع الاعتبارات ، مع التفاوت بينهم في أهم الخصائص التي تناط بها الحقوق و الواجبات . و بين الرجال و النساء ذلك التفاوت الثابت في الأخلاق الاجتماعية و في الأخلاق الفطرية ، و في مطالب الأسرة ، و لا سيما مطالب الأمومة وتدبير الحياة المنزلية . فمن الثابت أن المرأة لم تستقل في حياة النوع كله بالقوامة على الأخلاق الاجتماعية، و لم يكن لها العمل الأول قط في إنشاء قيم العرف و الآداب العامة، و لم يكن خلقها مستمدا من الغريزة ، فهو في الجانب الاجتماعي منه خاضع لقوامة الرجل و إشرافه فيما هو أقرب الأمور بها و ألصقها بتكوينها و أبرزها بالنسبة إليها خلق الحياء ، و خلق الحنان و الزينة بأنواعها (العقاد ، 2005م ، ص 63...) .

و لو أردنا أن نفصل في حقوق المرأة التي أثبتها الإسلام و أعطاها لها ، فإننا نقف على صور غير مسبوقة في القديم ، و لن تأتي أي قوانين بشرية – مهما كانت موغلة في المثالية – أن تنصف هذا الكائن البشري المخلوق ، و مثال هذه الحقوق: (نصيف ، 1995م ، ص 65 ...)

- الحقوق المدنية و الاجتماعية : حقها كإنسان و حقها في النفقة و الرضاعة و الحضانة والتربية ، و حقها في التعليم ، و حقها في اختيار الزوج ، و حقها في العمل ..

- الحقوق الدينية : أهليتها للدين و تلقي التكاليف الشرعية .

- الحقوق السياسية : حق إبداء الرأي ، حق الرعاية و الحماية ، حق المشاركة في الجهاد ..

- الحقوق المالية : أهليتها الاقتصادية ، و النفقة ، و الصداق ، و الميراث .

- **أبو الحسن الندوي والمرأة :**

لقد كان للمرأة المسلمة في الحضارة الإسلامة عمل كبير في المجتمع الإسلامي ، إذ أن الأسرة الإسلامية كانت مدرسة كاملة تقوم بتربية أبناء المسلمين و تنشأتهم على العقيدة الإسلامية ، و على الشخصية الإسلامية ، و كثير من كبار المجددين و المصلحين و العلماء كانوا غرس أمهاتهم . فالشيخ عبد القادر الجيلاني كان نتاج غرس أمه، إذ يقول عن نفسه : لما خرجت من جيلان قالت لي أمي : **يا بني أوصيك وصية واحدة ، لا تكذب** . فتمسك بهذا طوال حياته (الندوي، 2002م، ص10)، حتى صار رمزا من رموز الأمة و قطبا ربانيا من أقطابها ، و يرجع إليه في قضايا العقيدة و التزكية و بناء الروح ، إلى الآن .

كما أن هناك نماذج عديدة تزخر بها كتب التراجم و السير لسيدات مربيات مفكرات ، فالسيدة الخنساء، الشاعرة ، جهزت أبناءها للقتال و الموت في سبيل الله (الندوي ، 2002م ، ص13) وربتهم على العقيدة الإسلامية السليمة و التضحية و الجهاد ، فلما سمعت باستشهادهم قالت: الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم، أما قبل إسلامها كانت قد رثت أخاها صخرا بقصيدة رثائية تبرز فيها مواصفاته، و تتحسر على موته .

و السيدة خولة بنت الأزور كانت مساهمة في فتوحات الشام الأولى، و كذا السيدة رابعة العدوية البصرية التي كانت مضربا – إلى الآن – في الزهد و التقوى و الورع و السير إلى الله بصفاء و نقاء وخضوع تام له سبحانه ، فكانت المرأة الصوفية الزاهدة التقية النقية .

و في رواية الحديث كانت السيدة كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية تروي صحيح البخاري ، قال فيها ابن الأثير: انتهى إليها علو الإسناد لصحيح البخاري، و كان يقال لها بنت الكرام و أم الكرام (الندوي، 2002م ، ص13) .

و في الأدب ولادة بنت المستكفي الأندلسية تروي الأدب (الندوي ، 2002م ، ص36) .

و في تاريخ الهند كثير من كبار المصلحين و الدعاة و كبار الحكام مدينين في تمسكهم بإنسانيتهم النبيلة إلى أمهاتهم ، و هنا يذكر الشيخ الندوي دور والدته في تربيته و تنشئته (الندوي، 2002م، ص11) على الخصال الجميلة و السجايا الحميدة.

و هكذا فقد قامت المرأة المسلمة منذ بداية البعثة المحمدية في إثبات أن الإسلام نهج علمي ناجح ، و في إبرازه على العالم كله كنظام عملي تطبيقي . إنه لا يستطيع أي دين و لا نظام بوجه خاص أن ينجح يدوم إلى أمد بعيد إلا إذا أولاه الجنس النسوي اهتمامه البالغ وعنايته الزائدة، وأثبت معه ولاءه و وفاءه. و في التاريخ الإسلامي لولا تعاضد المسلمات الصالحات و تعاونهن مع الرجال في صيانة الهوية الإسلامية و الحضارة الإسلامية ، و لولا مساهمتهن في تأسيس النظام العائلي و الأحوال الشخصية الإسلامية وتوطيد دعائمها ، و إنشاء بيئة إسلامية تنمو و تزدهر في ظل التربية الإسلامية، و تسود فيها النزاهة والمحبة و السلم لتعذر على المسلمين أن يعيشوا بحضارتهم الإسلامية و طابعا الخا ص (الندوي، 2002م، ص24) . إذ لما خرج العرب من جزيرتهم فاتحين واجهوا حضارتين من أرقى الحضارات البشرية و هما : الحضارة الرومانية البيزنطية التي كان مركزها القسطنطينية ، و الحضارة الإيرانية الفارسية التي كانت عاصمتها المدائن ، و كانت هاتان

الحضارتان قد بلغتا في الإسراف و البذخ منتهاه ، حتى أن كسرى عظيم الروم في أثناء لجوئه ةو تنقله بين البوادي و القرى ، لما لجأ إلى رجل فقير و قد اشتد به العطش و طلب الماء ، فلما قدم إليه الماء في كوب من خشب أبى و قال : لو مت عطشا لما استطعت أن أشرب من هذا (الندوي ، 2002م ، ص8-9) . فالفاتحون المسلمون استطاعوا المحافظة على الآداب و الحياة الإسلامية و على الحشمة بفضل النصف الآخر من المجتمع الإسلامي و هو النساء المسلمات (الندوي ، 2002م ، ص9) .

أما في الزمن المعاصر فإن الأمة الإسلامية تواجه الحضارة الغربية ، و هي من أقوى الحضارات التي عرفت في تاريخ البشر ، لاقترانها بالتطور العلمي و التكنولوجي ، مع مصادفة ضعف المسلمين الذين كانوا هم أصحاب الرسالة و القادة للإنسانية ، و بالتالي فإنه يجب أن تشعر البنات المسلمات بواجبهن و برسالتهن و بمسؤولياتهن نحو الأسرة المسلمة و نحو الحضارة الإسلامية و نحو العصر الحاضر (الندوي ، 2002م ، ص13) ، و عليه فيجب أن يعلم كذلك أن مواجهة الحضارة الغربية الحديثة ، و التخلص من مواضع الضعف فيها و اقتباس مواضع القوة منها يكون بالأسرة المسلمة القائمة بروحها و برسالتها و بخصائصها ، و أكثر من ذلك أن الطفل المسلم و الشاب المسلم إنما ينشآن في هذه المدرسة و يتخرجان منها ، فيجب أن تبقى مدرسة الأم المسلمة على صفتها الأولى ، و أن تحافظ على قوتها و على روحها ، و هكذا يجب أن يقتنع المجتمع المسلم ذكورا و إناثا ، و خاصة النساء المسلمات أن مسؤولية إنشاء جيل جديد مسلم في أعماق قلبه إنما تقع عليهن ، و قد ربط القرآن الكريم بين الجزأين في المجتمع الإسلامي في آية واحدة (الندوي ، 2002م ، ص11-12) ، يقول الله تعالى: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى" (آل عمران ، 195) وقال تعالى: "من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة"(النحل،97)

- **القيم الإسلامية وتكريم المرأة :**

لما أرسل الله سبحانه و تعالى نبيه محمدا – صلى الله عليه و سلم – ، كانت الآيات القرآنية و التعاليم النبوية ولادة جديدة للجنس النسوي في الالعالم البشري ، إذ لم يكن بينها و بين حيوان داجن أو آلة صماء أو رهينة ، أو صورة جميلة و دمية في القصر ، في العالم القديم ، فكانت هذه التعاليم قيما مباركة في عالم الحضارة و الحياة المترلية و الرابطة الزوجية ، تجاوبت لها كثيرا من المجتمعات لا سيما البلاد التي دخلها الإسلام فاتحا أو داعيا مصلحا أو حاكما منضما للأمور ، و مثاله ما قام به الملوك ، و رجال الحكم المسلمون في إصلاح الطقوس و العادات المتبعة في الهند ، إذ تم تغيير عادة **"ستي"** في المجتمع بفضل الحكام المسلمين ، و لقد اعترف المنصفون من علماء الغرب و الباحثون في علم الاجتماع و تاريخ الحضارات بما تمتاز به تعاليم اقرآن و الشريعة الإسلامية من الاحترام الممتاز للمرأة و الاعتراف بحقوقها سلوكا و تشريعا (الندوي ، 2002م ، ص21...) .

و في تعاليم الإسلام تثير الآيات القرآنية الكريمة في المرأة الثقة بمكانتها في المجتمع ، و مترلتها عند الله تعالى ، و القدرة على الوصول إلى أعلى الدرجات في الدين و العلم و خدمة الإسلام ، و التعاون على البر و التقوى و تكوين المجتمع الصالح ، و تقرن المرأة دائما بالرجل في قبول الأعمال و النجاة و السعادة في الآخرة (الندوي ، 2002م ، ص19) يقول الله تعالى : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى و هو مومن فلنحيينه حياة طيبة و لا يظلمون نقيرا " (النساء ، 124) ، إلى غيرها من الآيات القرآنية التي ربطت بين الذكر و الأنثى سواء في (آل عمران ، 195) و (النحل ، 97) ، كما أن القرآن الكريم أشار إلى أنه لا فرق في الأعمال الصالحة و الصفات الكريمة بين الذكور و الإناث ، فكلما وصف الذكور بصفة وصف الإناث بها حتى و إن طال البيان ، لأن قياس النساء في جميع الصفات على الذكور الأقوياء مما لم تتعوده أذهان

الناس التي نشأت في ظل الديانات و الفلسفات و الآداب القديمة سواء الدينية أو المعنوية ، ففرقت و استثنت الإناث عن مشاركة الرجال (الندوي ، 2002م ، ص19) قال تعالى : "إن المسلمين و المسلمات و المومنين و المومنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما" (الأحزاب ، 35) . و هكذا ، فقد خلق الله في النساء كل صلاحية و كل قدرة للبلوغ إلى الكمال و التقدم في مضمار العلم ، و في الربانية و الروحانية و التقرب إلى الله تعالى (الندوي، 2002م، ص13) ، كما أن القرآن الكريم يشرك النساء المسلمات مع الرجال أصحاب الإرادة القوية و الفتوة و علو الهمة و الصبر على المشاق و التعرض للمعارضة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و يجعل من المؤمنين و المؤمنات كتلة مترابطة متماسكة ، متعاونة على البر و التقوى : "و المومنون و المومنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ... " (التوبة ، 71) ، و يجعل القرآن الكريم شرط بلوغ المنزلة العليا في الكرامة الإنسانية هو التقوى بصرف النظر عن الجنس و النسل و الدم (الندوي ، 2002م ، ص20) ، يقول الله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات ، 13) .

إن الإسلام ليس مجرد مجموعة من عقائد و آداب و طقوس ، بل هو نظام كامل يشمل جميع نواحي الحياة ، و المسلمون في كل عصر يؤمنون بأن هذا الدين يحمل في طيه صلاحية عظيمة لرقابة المجتمع و الحسبة عليه ، فضلا عن مسايرته و مجاراته ، مما أثار الثقة في نفوس المؤمين ورفع من شأنهم عاليا ، فكانوا يعتزون بدينهم و ينظرون إلى قيمهم و حضارتهم نظرة إجلال و تكريم ، و كانوا على اعتقاد كامل بأن التعاليم التي جاء بها الرسول – صلى الله عليه و سلم – هو دين و حضارة ، له أحكامه و قوانينه ونظامه الاجتماعي ، يجمع بين الجامع ، و بين الدولة و دوائر الحكم ... ، (الندوي ، 2002م ، ص28) لا يتنافى مع العقل السليم و المنطق السوي .

لقد منح الإسلام للمرأة مكانة مرموقة و أثار فيها الثقة و الاعتزاز بنفسها في المجتمع ، و أحدث في تاريخها انقلابا مدهشا ، إذ أنصفها من القوانين الغاشمة و الأعراف المستبدة (الندوي ، 2002م ، ص25) و أحلها مكانتها اللائقة في المجتمع الإنساني ، فهي و الرجل صنوان في الكرامة الإنسانية والبناء الاجتماعي و الجزاء الأخروي .

- **أدوار المرأة المسلمة :**

لو تصفحنا بإمعان أطوار الحضارة الإسلامية لوجدنا أن المرأة المسلمة كان لها دور مهم في استمرار السلسلة السلالية للأمة الإسلامية ، عقيدة و أخلاقا و ثقافة ، في كل عصر و مصر ، و لو لم تتحمل النساء المسلمات مسؤولية ذلك على عواتقهن و يبذلن جهودهن لتحقيق ذلك ، فإنه لن تدوم قيم هذه الأمة و لن تقوم الحجة على ضرورتها و صلاحيتها (الندوي ، 2002م ، ص37) .

إن الواقع الاجتماعي على وجه العموم يظهر أن المرأة تمر بأوضاع قاسية و تعاني من الأثرة و غمط الحق، وسلوكات خارقة للمعاني الإنسانية و الاعتبارات الخلقية تحقيقا للتمتع بحياة ناعمة ، مع تفضيل المال والثروة على العزة و الكرم و الحجة و العفة ، بل حتى على الأخلاق الفاضلة و السيرة العطرة (الندوي ، 2002م ، ص30–31) ، و عليه فإن أدوار المرأة المسلمة تصبح أكثر أهمية ، و يمكن إبرازها في المجالات التالية :

- المجال الأول: مجال الفرد و المجتمع

إن العادات و الصفات و المعتقدات التي يتلقاها الصبي من أمه هي المدرسة الأولى ، إذ أنها تختلط بلحمه و دمه و تصبح لحمته و سداه . و من هنا ركز أخصائيو التعليم و التربية ، على أن الآثار و الملامح التي ترتسم في عقل الطفل في البداية فإنها لا تنطمس أبدا . و على هذا تتفاقم مسؤولية الأمهات و المعنيين بتربية الأولاد و تثقيفهن ، و ليس في وسع تعليم أو تربية أن تمحو هذه الآثار العميقة بسهولة ، فعلى الأمهات أن يعلمن الأولاد توحيد الله سبحانه و تعالى و تعاليم الرسول صلى الله عليه و سلم و يعودنهم على العبادات و على تلاوة القرآن الكريم ، أضف إلى ذلك تكريه الشرك و الكفر إلى الأولاد ، و تحبيب الإيمان ، اعتزازا به و انتماء إليه ، و تدريبهم على الحمية الدينية و الغيرة الإسلامية و غرس فضيلة الصدق و الإيثار و التضحية و الجهاد ، و تنشئتهم على عاطفة حب الوطن و خدمة المجتمع ، والابتعاد عن معصية الله تعالى و الاشمئزاز من المآثم و الذنوب ... (الندوي ، 2002م ، ص38).

- المجال الثاني : الاحتفاظ بمزايا الإسلام الحضارية و المحافظة عليها

يجب الاحتفاظ بمزايا الإسلام الثقافية و الحضارية و الاجتماعية ، و المحافظة على بقائها و استمرارها و صيانتها من الثقافات غير الإسلامية ، و لمعرفة ذلك يجب الاطلاع على تاريخ الحضارة الإسلامية و مجدها التليد ، فكرا و فهما و تنزيلا ... و تطبيق ذلك يكون بالاطلاع على دور الفتوحات الإسلامية و تأثير ذلك في تلك المجتمعات رغم بدائيتهم ، و عدم تأثرهم بمباهج المتع الراقية للفرس و الروم . " فإن الإسلام و إن كان متحليا بالتعاليم السماوية و العقائد و الأخلاق العالية و الصفات الكريمة و الآداب الحسنة ، فإن الروم و الفرس هم الذين كانوا يملكون زمام قيادة الثقافة و المجتمع ، فكان من الممكن أن يتهافت العرب المسلمون على هاتين المدنيتين ، إلا أن الذي حدث هو عكس ذلك تماما إذ اعتنقت هذه الشعوب الإسلام و تفيأت ظلاله الوارفة ، و واصلت الفتوحات مع الفاتحين الأول من العرب المسلمين (الندوي ، 2002م ، ص40...) .

إن المسلمين تغلبوا على تلك الحضارات المتطورة بمساعدة كل من الرجال و النساء ، و كان في ذلك حظ كبير و دور ملموس لإيمان النساء و يقينهن و قناعاتهن و بساطتهن و إخلاصهن ، و كانت قدوتهن في ذلك الصحابيات الصالحات و العلماء و الصلحاء.. فلو لم تكن مساعدات النساء وإسهاماتهن البارزة لم يكن للرجال أن يحفظوا الحياة من محاكاة المدنية الرومية و الفارسية ، و كان لا بد أن يهوي المجتمع الإسلامي في هاوية تقليد الروم و الفرس في كل مظاهر الحياة .

ثم يذكر الشيخ الندوي دور النساء في التصدي للحضارة الغربية و صيانة المجتمع الإسلامي ، و هذا من خلال تقوية و ترسيخ الإيمان للمرأة المسلمة مع تعليمها دينها الصحيح و تربيتها التربية الإسلامية الهادفة، و تزويدها بالخلق الإسلامي و السيرة المثالية للنبي – صلى الله عليه و سلم – و الصحابة الكرام، و إيثارها لقيم الحضارة الإسلامية على غيرها من الحضارات و الثقافات المصطنعة الأخرى (الندوي ، 2002م ، ص42)

- **الخاتمة :**

بعد دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إبرازها في الآتي :

1- إن أحكام الإسلام أولت عناية كبيرة بالمرأة ، و قد جعلتها صنو الرجل في الأبعاد الإنسانية و السمو الأخلاقي و الروحي .

2- لقد منح الإسلام للمرأة حقوقا عديدة مثلها في ذلك مثل الرجل ، سواء حق التملك أو الميراث أو حرية البيع و الشراء أو حضور الأعياد و الجمع و الجماعات و ما إليها ، (و هي تحتاج إلى دراسات تأصيلية / اجتماعية)

3- " إن الإسلام شديد الحرص على مزج الشريعة بالتربية الأخلاقية ، و الأحكام العملية بالآداب النفسية... "

4- إن النبي محمدا – صلى الله عليه و سلم – أرسى معالم بناء مجتمع إسلامي فاضل ، يتكامل فيه عمل الرجل و المرأة ، و لكل دوره و وظيفته في هذا البناء .

5- لقد برزت نساء في الحضارة الإسلامية كن عالمات و فاتحات و شاعرات و أديبات .

6- " إن بقاء المجتمع الإسلامي بمزاياه و خصائصه و الاعتزاز بها هو رهن لتعاضد النساء المسلمات و مواكبتهن لإخوانهن و قادة المجتمع الإسلامي ، و فضلهن لا يقتصر على حفظ الهوية الإسلامية و صيانتها فحسب ، بل يتجاوز إلى بقاء الكيان الإسلامي أصلا ".

7- شهدت الحضارة الإسلامية رموزا من النساء اللاتي استطعن أن يقمن بتكوين علماء وقادة وفاتحين وصلحاء .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم** ، رواية ورش.
- **أبو الحسن علي الحسني الندوي: مكانة المرأة في الإسلام**، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، بيروت، ط1423/1هـ-2002م.
- زكي الميلاد: تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2001/1م.
- د. سوزان السعيد يوسف: المرأة في الشريعة اليهودية ، حقوقها و واجباتها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط2005/1م.
- عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ط 2005/3م
- عبد الحليم محمد أبو شقة: تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1420/5هـ-1999م.
- د. عبد الوهاب المسيري: قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ط2/أغسطس 2010م.
- د. علي شريعتي: مسؤولية المرأة، ترجمة: خليل الهنداوي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط1492/2هـ-2007م

- د. فاطمة عمر نصيف: حقوق المرأة و واجباتها في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ط1406/2هـ-1995م

- أ.د. محمد عمارة: حقائق و شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1431/1هـ-2010م

- محمد الغزالي وآخرون: المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، د م.

- محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم، أخبار مصر، د م .

- محمد متولي الشعراوي: المرأة والرجل وخصوم الإسلام، دار الندوة للنشر، الإسكندرية، ج م ع، دم.

- د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1431/4هـ-2010م.

- نعيمة شومان: المرأة منذ العصر الحجري و المرأة في الإسلام كإنسان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2011/1م.

- وحيد الدين خان: المرأة بين شريعة الإسلام و الحضارة الغربية، ترجمة: سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1414/1هـ-1994م.